المنجرة يعالج موضوع القيم في كتابه الجديد

كونية القيم ستتحقق حين تصبح حياة مواطن عالمثالثي تضاهي في قيمتها حياة الأمريكي

أصدر أخيرا المفكر وعالم المستقبليات المهدي المنجرة، كتابه الجديد باللغة الفرنسية "قيمة القيم". ويقول المنجرة في تقديمه للكتاب الجديد: "لقد شكل دائما الدور الذي تلعبه القيم في التنمية الاقتصادية والسوسيو ثقافية للمجتمعات انشغالا أساسيا لمجموع نشاطاتي وكتاباتي. من الممكن أن يكون ذلك راجعا إلى السنوات الـ35 التي عشتها في الغرب، أولا بصفتي طالبا ثم بصفتي موظفا دوليا بعد ذلك؟ ولكن كلما اكتشفت الأوجه المتعددة للثقافة الغربية وأبعادها وازددت شغفي بفنانها وتراثها، علمت أنها ترتبط بشكل جوهري بتاريخ وذاكرة جماعية إضافة إلى مناخ جيوغرافي وسوسيو ثقافي خاص. إنها إشكالية يكمن جوهرها على مستوى "نظام للقيم" مشترك بدونه لا يمكننا أن نفهم ثقافة ساهمت بشكل كبير في تطور الإنسانية، والتي أدين لها أنا شخصيا بالكثير".

ويضيف: "الاستنتاج الذي يمكن أن أستخلصه من هذا التعلق هو أن هذه الثقافة لا يمكنها أن تنتقل إلى مناطق أخرى بشكل أعمى، دون اعتبار حقيقي واحترام فعلي لقيم هذه المناطق. الثقافات لا يمكن استنساخها. لا يمكنها أن تتواصل وأن تلتقي بشكل مشترك إلا إذا تم الأخذ بعين الاعتبار هذه القاعدة الأساسية. وبصفتي مديرا عاما مساعدا لليونسكو في مجالات العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية والثقافة والفلسفة وحقوق الإنسان، حصلت على امتياز الارتباط بعلاقة مع السلطات الحكومية وغير الحكومية عبر مختلف بلدان العالم، والتي كانت مسؤولة سواء بشكل مباشر أو غير مباشر عن دراسة وإنعاش ونشر الثقافات. وبدون أن أشك في صدق نية مسيري بعض المؤسسات الدولية، استطعت أن ألاحظ وجود نوع من المقاومة لدى بعض الغربيين في التوجه نحو الآخر. وسواء كانت تلك المقاومة عن وعي أو عن غير وعي، فإنها ترجع في جزء كبير منها إلى الجهل أو علاقة التفوق والاكتفاء. هذا الاستنتاج البسيط مع مراعاة عدم التعميم، أدى بي إلى المزيد من الإعجاب بمجموع الثقافات الأخرى دون أن أنكر ثقافتي. بل على العكس، استطعت بفضل ثقافتي الشخصية أن يكون لدي نقطة انتماء وأن أتجنب خطر التراجع والتوفيق الثقافي الذي لا ينتج عنهما سوى تقليد أعمى يقتل كل حس للإبداع والتجديد".

ويقول المنجرة إن تجارة الأفكار وعالم الإبداع لا يمكن التفاوض حولها على طريقة اتفاقات التبادل الحر كما أنها لا تخضع للقواعد التي تنظم التحويلات الفلاحية أو الصناعية. إذ "لا يمكننا أن نصل الحقل الثقافي مثلما نصل حقل معارك. سيؤدي ذلك إلى نتيجة واحدة هي التمركز الإثني والغطرسة الثقافية التي تميز عددا كبيرا من البلدان الغربية. كما سيؤدي من جهة أخرى إلى تسريع مقاومة الأهلية الشعبية لهذا العدوان الثقافي". ويذكر المنجرة في التقديم نفسه بأحد البرامج التي خصصت للآفاق المستقبلية قبل 20 سنة، والتي ركز على كون الغرب يعاني 3 أنواع من الهوس هي الديمغرافية والإسلام واليابان. ويقول: "اليوم، حل الخوف من الهجرة محل هاجس الديمغرافية، والخوف من الصين حل محل الخوف من اليابان، في حين تحول الخوف من الإسلام إلى إسلاموفوبيا بوجه مكشوف بعد أن أصبحنا نربط صراحة بين الإسلام والإرهاب من خلال التضليل الإعلامي. ونسينا أن كلمة "السلام" تنطق في العالم الإسلامي مليار مرة كل ساعة في المتوسط أي حوالي 17 مليون مرة كل دقيقة".

يتكون كتاب المهدي المنجرة من 3 فصول، هي "قيم ومجتمع" و"قيم وقدرة على الإبداع" و"قيم وذاكرة". تعالج القيم في علاقتها بالمجتمع وتركز على العلاقات الخصبة بين القيم والإبداع. وتحتوي هذه الفصول بدورها على مجموعة من الأجزاء، تتحدث عن خوصصة التلفزيون والتواصل والتنمية وتغيرات الأولويات واستقرار القيم وحوار الإنترنت ومستقبل الإسلام في أوربا والسينما والتعليم.. كما خصصت أجزاء من الكتاب لعازف القانون المغربي صالح الشرقي، وسعيد الشرايبي، عازف العود، والرسام أحمد بن يسف والفني والمويتح والبايستو التسمناني والسياسيين عبد الله إبراهيم والمهدي بن بركة..

وعموما، يعلي هذا الكتاب شأن وقيمة الذاكرة بوصفها قيمة تتيح النسيان وتجسد تقاسم العائلة. فالسلم يمر من تواصل ثقافي جديد خال من الكفر والتفريق العنصري في العلاقات الدولية. ويجادل فيه أنه رغم أن العديد من الدول تدعي الدفاع عن قيم حقوق الإنسان والديمقراطية، إلا أنها تفرغها دون أن تعاقب على ذلك. "ففي اليوم الذي تصبح فيه حياة أمريكي أو إسرائيلي تضاهي في قيمتها حياة مواطن من العالم الثالث بشكل عام أو مواطن من بلد مسلم بشكل خاص، سنقترب من هذه الكونية التي ينادي بها العديدون. أما العدوان البربري الأخير الذي شنته إسرائيل والدعم الأعمى وغير المقبول الذي قدمه الغرب لها والجبن الذي لا يحتمل للحكومات العربية، فيبين لنا كم نحن بعيدون عن ذلك".

يقول المنجرة عن كتابه إنه سطور مكتوبة على شكل حرب قيم لا ترحم، وهذه الحرب ليست سوى استمرار عنيف ومهووس وبدون رحمة لأول حرب حضارية. وبدون شك، فإن مستقبل الإنسانية يعول على الثمن الذي تمنحه للحياة الإنسانية دون تفريق عنصري كيفما كان شكله، وعلى الاحترام المتبادل للقيم التي تعتبر جينات العنبة الكريمة. ومن هنا جاء "قيم القيم".

غلاف الكتاب صممه الرسام المعروف أحمد بن يسف وثمنه 40 درهما.

نورا الفواري